فلسفة التاريخ وفلسفة المستقبل
التداخل والتماثل

أ.م.د.رحيم الساعدي

مقدمة

ما يميز الفلسفة في حقيقة الأمر ، ليس الجانب المتعلق باكتشاف اللامحدود من الأفكار أو إثارتها للدهشة فحسب ، بل ان اللذة الحقيقية تكمن في تشكيل الأفكار وتركيبها ، واحسب ان أرسطو الذي أخذت الكثير من الفلاسفة لا يشعر بحرج القول ان الأفكار تتوارث وتتناسل وانه نهل من أفلاطون الذي اخذ عن سقراط واخذ سقراط عن غيره .

ولا جدال ان من تلك الأفكار التي تشكلت في العصر الحديث تطورت كثيرا فمنها من اهتم اليوم بمفهوم المستقبل وهو تشكيل فكري ساقته الضرورة ليكون مبوبا مقننا يستند على العلم والتطور التكنولوجي ، ولا يبتعد الفكر المستقبلي عن التحليل الفلسفي لتاريخية الأحداث ، فكلاهما ينحو لهدف وغاية معينة مختلفة ويستعمل وسائل معينة .

ان عقد مقارنة معرفية في جانبي فلسفة التاريخ وفلسفة المستقبل هو نوع من تنشيط كلا المفهومين لاسيما اننا لا يمكننا التخلي عن هاتين المعرفتين ، وعلى هذا تتحول القضية هنا لما هو ابعد من عقد مقارنة أو قراءة في تداخلين مختلفين في الزمن والوسيلة والهدف والغاية .

وفي الموضوع بشكل عام دعوة إلى المفكر العراقي أو(العربي –الإسلامي) بتبني فلسفة وبحوث مستقبلية توازي ما كتبناه في فلسفة التاريخ ، ليس لان فلسفة التاريخ لا تثمر ، بل لأنها لابد ان تثمر عن فلسفة مستقبل على الأقل ، وما لا يمكن الاستفادة منه مستقبليا ، اعتقد بأننا لا يمكن ان نعده من البيانات التاريخية المهمة التي تحاول تنبيهنا إلى تلافي الأخطاء وتصحيح المسارات المختلفة .

ان العلوم المستقبلية تسعى إلى تبيان و توضيح المناهج التي يمكن الاستفادة منها في بناء المستقبل بكل تنوعاته الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية الأمر الذي يشير إلى علوم جديدة بالإضافة إلى مناهج جديدة أيضا وهذا كله يعني تحريك الساحة الفكرية العراقية والعربية والإسلامية .

ومن هنا – من امتهان وتطبيق وتبني وممارسة صنعة الدرس المستقبلي - يمكن استغلال الفرص المناسبة بوساطة منهجيات متطورة ومعاصرة في الدراسات المستقبلية للتطور والتجديد والتنظير للإصلاح الفكري وتقديم البدائل المختلفة التي تساعد في البناء المادي والمعنوي للإنسان والأمم .

وفي الحقيقة ، لا يمكننا فهم الدراسات المستقبلية بمعزل عن كونها علما أولا ثم لا يمكننا افتراض ابتعاد الدراسات المستقبلية عن العلوم المختلفة ثانيا أو عن الفلسفات المتعددة ومنها الاجتماع والسياسة والتاريخ .

تماثل التعريف

قد لا نحتاج إلى إسهاب في تعريف فلسفة التاريخ بعكس ما يتعلق الأمر بالمستقبل ، وعلى أي حال فان الحكايات أو الروايات التي نسمعها لا تنتمي إلى مفهوم فلسفة التاريخ ان لم تحمل صبغة السؤال الفلسفي السببي (كيف ولماذا) فلا معنى لقصص جنكيز خان أو نابليون العسكرية ان لم تحمل تساؤلات إستراتيجية تتعلق بنمط نتائج السلوك وتأثيرات الأحداث والعلل والأسباب ، وهكذا هو الحال بالنسبة إلى بناء أو زوال دولة أو حضارة ، ففلسفة التاريخ على هذا المنوال تهتم باختصار المواقف وتحليلها والأكثر أهمية انها تؤطر لنتائج مستقبلية تحث على استثمار الفعل التاريخي لتطوير فعل قادم .

والتاريخ ، قيل انه لفظ ليس بعربي مأخوذ من مفهوم اليوم والقمر أو انه جاء من لفظ ورخ من اليمن ،ولكن الاصمعي قال ان بني تميم يقولون ورخت الكتاب توريخا اما قيس فيقولون أرخته تاريخا وهذا يؤكد ان اللفظ عربي ([1]).

ومن خصائص فلسفة التاريخ انه يعد من العلوم الكلية لا الجزئية لان فيلسوف التاريخ يبحث في التاريخ العالمي في الماضي والحاضر والمستقبل ، فهو ينظر إلى كلية التجربة التاريخية والى منطقها الداخلي والى نزوعها الواعي واللاواعي ([2]) .وهو يرتبط بعلم الاجتماع والسياسة بشكل خاص واحسب انه سيستند في المستقبل على العلوم التقنية والتكنولوجية بشكل كبير لما لهذه الأخيرة من قدرة على اكتشاف المغيبات القديمة التاريخية أو القادمة المستقبلية .

وارتباط فلسفة التاريخ أو التاريخ بعلم الاجتماع يأتي لوجود علاقة تبادل بين الفرد والمجتمع لصنع التاريخ وتوجيه الحضارة ([3]) . وتبرز هنا مفردة صنع وتوجيه المتعلقة بالتاريخ والحضارة ، فالعامل الأساس لفهم التاريخ يتمثل بالإنسان والأمة (المجتمع) ويعطي بعض الفلاسفة للعنصر الواحد أو النظرة الأحادية في صناعة التاريخ دورا وأهمية كبيرة كما في نظريات التاريخ التي تشير إلى النظرة الأحادية نظرية العامل الاقتصادي ([4]) . و نظرية عامل الجنس البشري ([5]) . وأيضا نظريات البيئة والطبيعة ونظرية دور الفرد .

ومع ابن خلدون – بل وقبله في الفكر الإسلامي– بدأ الحديث عن تنظير لفلسفة التاريخ العلم الذي أطلق عليه اسم الفن فهو يقول اعلم ان فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية إذا هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم ([6]).

الأمر الذي لفت أنظار صاحب أشمل الدراسات في فلسفة التاريخ (روبرت فلينت) وصاحب كتابه "فلسفة التاريخ في فرنسا وألمانيا" وكتاب "تاريخ فلسفة التاريخ" فبعد ان أشاد في كتبه

---

[1] - عامر الكفيش ،حركة التاريخ في القران الكريم ،دار الهادي،ط١،لبنان،١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م ، ص١٩ .حول المستقبل انظر د.رحيم الساعدي ،مدخل إلى علم الدراسات المستقبلية ، المستقبل في الفكر اليوناني والإسلامي ،ط١، دار الفراهيدي للنشر والتوزيع ،بغداد،٢٠١٠.

[2] - د.محمد عابد الجابري ،اشكالية الفكر العربي المعاصر،مركز دراسات الوحدة العربية ، ط٢،بيروت،١٩٩٠م، ص١١٦.

[3] - د.فؤاد زكريا ،الإنسان والحضارة ، مكتبة مصر ،١٩٩١،ص٢٩.

[4] - عبد الحميد صديقي،تفسير التاريخ ،ترجمة د.كاظم الجوادي،دار القلم ،بيروت ،١٤٠٠هـ-١٩٨٠م،ص٧٨.

[5] - نيقولا تيماشيف ،نظرية علم الاجتماع ،ترجمة محمد عودة وآخرون،دار المعارف ،مصر ،١٩٧٤م،ص٩١.

[6] - ابن خلدون ، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،ج١ص٩.

بمقدمة ابن خلدون وأعجب بها كثيرا ، قال في شأن ابن خلدون عبارته الشهيرة "إنه منقطع النظير في كل زمان ومكان، حتى ظهور فيكو بعده بأكثر من ثلاثمائة عام، ليس أفلاطون ولا أرسطو ولا القديس اوغسطينوس بأنداد له، وأما البقية فلا يستحقون حتى الذكر بجانبه ([٧]) .
ومن ناحية نحت المصطلح فان الفيلسوف فولتير أول من صاغ مصطلح فلسفة التاريخ في القرن الثامن عشر وقصد بها دراسة التاريخ من وجهة نظر الفيلسوف ، أي دراسة عملية تحليلية ناقدة ترفض الخرافات وتنقح التاريخ من الأساطير والمبالغات ([٨]) .

وتوزعت فلسفة التاريخ بعد ذلك بين أفكار ميكافيلى فى كتابه الأمير وفيكو فى كتابه العالم الجديد وشبنكلر وفولتير فى كتابه طبائع الأمم وفلسفة التاريخ وتوينبي في تنظيرات انتحار الحضارة ، الا ان بداية فلسفة التاريخ بشكلها الواعي تحسب لابن خلدون مع افكار العمران والعبرة وسقوط الامم ومتعلقات ذلك وهي الكلمات التي ترددت كثيرا في القران الكريم وأشارت إلى اخذ العبرة من السابقين ، وبرز اهتمام ابن خلدون بالجانب الاجتماعي النفسي (العصبية) وأيضا السياسي الاقتصادي(العمران) وباتصاله بالملوك كما هو حال مكيافلي فانه استمد مادته من التكيف المفروض مع مذاق الحاكم في ذلك الوقت وأيضا من أخطاء الحكام السابقين والدول والحضارات .
وكل هذا يقودنا إلى القول ان الحكام والسياسة بشكل عام هي من أسست فلسفة التاريخ كما انه (الحاكم) قديما وحديثا هو من جذر إلى فلسفة المستقبل أو الفكر المستقبلي وذلك من خلال الملك أو الحاجة الباحثة عن أخبار المستقبل بوساطة الكهانة والمنجمين أو تدبير الملك .
ربما يفسر كل ذلك معنى فلسفة التاريخ التي توجه المستقبل ، اما تعريف الدراسات أو العلم المستقبلي المستقبلية futurism فهي نزعة نحو التجديد والمجهول والمستقبل ،أساسها الخروج عن المألوف والرغبة في المغامرة ولها شان في علم الجمال وامتد أثرها في مجال السياسة والأخلاق ،والمستقبلية اتجاه في الفن متأثر بالنهضة الصناعية ويرمي إلى تصوير الحركة الديناميكية بوساطة بعدين وذلك بإبراز الشيء المتحرك في مراحل متابعة الحركة كما هو حال الأفلام السينمائية ([٩]) .
والمستقبلية في الأساس مذهب جمالي لكنه يتضمن استعمالا أخلاقيا وسياسيا صاغه ف.ت. مارينتي في البان المنشور في جريدة الفيغارو ١٩٠٩ الذي يمجد المستقبل ويتجه نحو الجديد ([١٠]) .
كما يمكن تفسير الدراسات المستقبلية على انها :

أولا :العلم الذي يرصد التغير في ظاهرة معينة ويسعى إلى تحديد الاحتمالات المختلفة لتطورها في المستقبل ، وتوصيف ما يساعد على ترجيح احتمال على غيره ([١١]) .

وإذا قمنا بتفكيك مصطلح النص فان في النص كلمات مهمة وهي مفاتيح التعريف وغايته منها :الرصد ، التحديد ،الاحتمال ، التطور ، الترجيح .

---

[٧] - ساطع الحصري ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، الطبعة ٣ ، لبنان،٢٠٤-٢٠٥ .
[٨] - د.رأفت غنيمي ، فلسفة التاريخ ، دار الثقافة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٧-١٩٨٨، ص١٤ .
[٩] - المعجم الفلسفي ،تصدير د. إبراهيم مدكور،١٤٠٣هـ -١٩٨٣م ،القاهرة ،ص١٨١.

[١٠] - موسوعة لالاند الفلسفية- معجم مصطلحات الفلسفة النقدية والتقنية ،تعريب خليل احمد خليل،٣ مجلدات ،عويدات ،بيروت، A-Gص٤٥٦.

[١١] - Edward Cornish-The Study of the Future,World Future Society, Washington.1977,pp.83-92

مثال تطبيق مصطلح النص
المشكلة : تنامي العنف في بلد ما

- رصد حالة العنف في مجتمع معين .
- تحديد الحالة والثوابت والمتغيرات .
- تقديم وقياس الاحتمالات الخاصة بالظاهرة .
- من الاحتمالات يمكن قياس تطور هذه الظاهرة مستقبلا وأيضا تحديد مفهوم العنف من اللاعنف
- الترجيح يعني تقديم احتمال على آخر والعملية بمجملها هي عبارة عن تنبؤ أو فكر مستقبلي .
-

أمثلة أخرى لبعض القضايا :

- التغير في منسوب المياه المالحة أو العذبة واثر ذلك على الشعوب .
- التخلف التكنولوجي في الشرق ، أسبابه وعلاجه .
- ومن ذلك الانفجار السكاني ، الفقر ،البطالة ...الخ .

ثانيا : بأنها (مجموعة من البحوث والدراسات التي تهدف إلى الكشف عن المشكلات ذات الطبيعة المستقبلية، والعمل على إيجاد حلول عملية لها، كما تهدف إلى تحديد اتجاهات الأحداث وتحليل المتغيرات المتعددة للموقف المستقبلي، والتي يمكن أن يكون لها تأثير على مسار الأحداث في المستقبل) ([١٢]).

مثال ذلك :

- صناعة السيناريو المتسلسل الخاص بمعالجة حدث مهم .
- رسم الخطط المستقبلية لعلاج ارتفاع درجة الحرارة
- محاربة التصحر وتقييده ، الأمراض الفتاكة ، خطر الزلازل ...الخ .

تداخل الفلسفتين

كان من جملة التداخل بين الماضي والمستقبل ان الإيمان بالحتمية افرز اتجاه يرنو نحو المستقبل ويشير الى العيش في كنف الماضي، أو الحنين إلى الماضي، ويسمى مرض الحنين إلى الماضي، وأنصاره لا يرون خيرًا في الحاضر، وهذا الاتجاه يرى في الماضي الأنموذج الأمثل للمستقبل، فهو يسقط المستقبل إسقاطا خلفيًا على الماضي ([١٣]) .
ان فلسفة التاريخ لم توجد لأنها تعوض قصور كل من الفلسفة و التاريخ فحسب بل أيضا لتلبية حاجة فكرية مهمة ، فكلما انتاب الإنسان في حاضره جزع على مصيره المستقبلي لجأ إلى الماضي يستوحيه وعلى هذا يمكن ان نلاحظ ان عصور الكوارث والنكبات في التاريخ الإنساني

---

[١٢] **- فاروق عبده فلية ، احمد عبد الفتاح الزكي ، الدراسات المستقبلية(منظور تربوي)، دار المسيرة ، عمان ، ٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، ص ٦٧ .**

[١٣] **- محمد بن أحمد الرشيد، رؤية مستقبلية للتربية والتعليم في المملكة العربية السعودية ، ١٤٢١هـ ، ص٢٦.**

كانت دائما باعثا إلى التفكير في الماضي وفي المصير وتفسير التاريخ ، كما عند أوغسطين وابن خلدون وهيكل ([١٤]) .

و ظهرت أربع قضايا لفلسفة التاريخ المعاصر منها قضية النسبية في التاريخ وبخاصة في القيم وأشهر من تعرض لها (دلتاي) و(شبنكلر)و(ماكس فيبر) و(كارل ماركس) وقضية العلية في التاريخ وقال بها ارنولد توينبي والثالثة قضية التقدم والتخلف في مجرى التاريخ وأخيرا التنبؤ بما سيكون عليه التاريخ وقد ذهب البعض إلى التفاؤل والآخر إلى التشاؤم وطرف زعم انه بمعزل عن كليهما ([١٥]).

وربما يستحسن إثارة السؤال التالي لماذا القول بفلسفة المستقبل كما هو حال مفهوم فلسفة التاريخ ؟ وهل يصح وصف المستقبل بالفلسفة ، ومن دون مداخلات مطولة أجد بأنه يجب اعتماد لفظ فلسفة المستقبل لعدة أسباب منها ان المستقبل معرفة أو هو السعي للمعرفة المحتملة ، وهو معرفة متنوعة باتجاهات عديدة نطالب جميعنا باكتشافها وتحليلها فهي تتسم بكونها ميتافيزيقية تتضمن الكثير من الأفكار والتنظيرات الفلسفية المستقبلية منها الموت والخلود والنفس والزمن والمدينة الفاضلة والمعرفة المابعد طبيعية المقبلة ...الخ . وهي عملية بحث عن حقائق الأشياء التي يروم الإنسان تحقيقها ، وهي مع كل هذا وذاك بداية لتأسيس علمي جديد قد تضاف إلى فلسفة العلم لالتصاقها بالتكنولوجيا أكثر من عدها تنظير فقط .

وبودي التعقيب على مسالة تداخل فلسفتي التاريخ والمستقبل بالقول :

١. يعد الماضي من المجاهيل ومن الغيب ، فالباحث لا يملك اليقين في فهم وقوع الحوادث ، ولكن الثابت يكمن في القاعدة العامة لوقوع الحادثة وهو يتمثل بالسنن والفكر السببي وأنظمة العلة والمعلول ، وهو ما يتماثل ومفهوم المستقبل فهو من الغيب الذي يستند على طرق مختلفة في الفهم والتفسير .
٢. من الواقعية القول ان فكرة نهاية التاريخ تعني ان المستقبل تاريخ مؤجل وحوادثه بالرغم من تشابهها مع الحوادث التي مرت تاريخيا إلا انه لا يمكن الجزم أو ادعاء المعرفة النهائية لتلك الحوادث أو للفعل المستقبلي كما إننا لا نعرف حقائق البعض من الأفعال الماضية إلا ان اغلب الحوادث التاريخية ثابتة ولا تعد مسالة مقلقة تحتمل ضررا أو تعد غاية نسعى لتغييرها .
٣. الزمن في فلسفة المستقبل غير محدود وهو لا يتحدد بحدث أو فعل معين ، اما الزمن في فلسفة التاريخ فهو محدود ، يمكن استخدامه بمثابة عنصر يشكل قيمة ثابتة تساعد على تحليل شامل لبقية العناصر المتعلقة بفهم الظواهر والأحداث . فالمقارنة بين حربين الأولى منها وقعت والثانية تمثل افتراضا محتملا ، تعطينا تحليلا ثابت النتائج بالنسبة لفلسفة التاريخ إلا انها نتائج ثابتة من حيث نهاية الحدث (زمن محدد) اما غير الثابت فهو التفاصيل والأهداف والغايات والنتائج التي رافقت الحرب التاريخية التي انتهت ، اما الحرب المفترضة فتعني ان زمنها غير محدود لأننا لم نحدده وأيضا فانه لا تعد متعلقاتها من الغايات والوسائل والأهداف مقيدة أو محددة ، وزمن فلسفة التاريخ يتعامل مع ما كان اما زمن فلسفة المستقبل فان تعامله مع ما يكون .
٤. تتبنى فلسفة التاريخ القياس والمقارنة والتحليل والتعليل وتهتم فلسفة المستقبل بالافتراض والمقارنة والقياس والتخمين .

---

[١٤] **- د. رأفت غنيمي ، فلسفة التاريخ ، دار الثقافة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٧-١٩٨٨، ص٢١.**

[١٥] **- د. رأفت غنيمي ، فلسفة التاريخ ،ص١٧.**

٥. إذا كانت فلسفة التاريخ ردة فعل لما سبق فان فلسفة المستقبل تمثل ردة فعل استباقية ، وهي تبحث عن الفعل غير المنجز اما الفعل المنجز فهو يمدها بالعناصر والفهم الكافي للاستعداد للفعل القادم .
٦. القول بان فلسفة التاريخ هي فلسفة استقرائية أمر لا يجانب الصواب ، وهكذا يحدث مع الفكر المستقبلي ، كما ان الأول يتصف بأنه إخباري أو لنقل تصديقي اما الدراسات المستقبلية فهي تنبؤية تصورية ،وربما يقودنا التصور والتصديق بهذا الصدد إلى بعض الفهم لقضية التاريخ والمستقبل ، فكلاهما مهم بالنسبة إلى الحياة ولا يمكن فصل التصور والتصديق بأي حال من الأحوال لان فيهما نوع من التكامل بالنسبة إلى الفهم الإنساني أو إلى الإنسان بشكل خاص .
٧. ميدان فلسفة التاريخ الأساس هو الدولة والحضارة والسياسة والمعرفة اما المستقبل فان ميدانه الأساس هو الحضارة والسياسة والاقتصاد والإدارة والعلم .
٨. فلسفة التاريخ حتمية و تنحو نحو التنظير أكثر من التطبيق اما فلسفة المستقبل فهي ليست حتمية وتعد تنظيرية تطبيقية ، وتتصف وسائل الأول بكونها اقرب للمنطقية والتحليل والمقارنة ، اما وسائل الدراسات المستقبلية فهي اقرب إلى الرياضيات والحسابات والتخمين والتوقع .
٩. ان من أهداف فلسفة التاريخ معرفة الأحداث وأسبابها و تسجيل الأحداث التي وقعت بالفعل وتعليل سقوط الحضارات لتلافي الأخطاء في المستقبل بينما تمثلت أهداف فلسفة المستقبل بالتغيير والتطوير والتنمية والسيطرة على الأحداث القادمة .
١٠. من مناهجه التحليلي ، التفسيري التأويلي ، المقارن ، الاستقرائي.... الخ . ومن مناهج فلسفة المستقبل التنبؤي الحدسي ، الافتراضي ،الاستقرائي ...الخ .

ان التاريخ لا فلسفة التاريخ هو من يستبعد المستقبل تماما لان الدراسة فيه تتعلق بالماضي الذي ينتهي عند أول اللحظة الحاضرة بينما يرتبط المستقبل بالماضي عن طريق الحاضر ارتباطا عضويا في فلسفة التاريخ .ولا يمكن للتاريخ ان يصل إلى مرتبة الوعي الفلسفي دون وعي بالمستقبل وهذا بدوره يثير الجزع على المصير ولا شيء من ذلك يحدث إلا في فلسفة التاريخ ([١٦]) .

الزمان بين فلسفتي التاريخ والمستقبل ـ ظل الأشياء –

يشير الزمن في فلسفة التاريخ إلى كم وحدث محدد والى حتمية قد تبدو ثابتة أو غير ثابتة أحيانا ، وتلك إشارة إلى قدرة فيلسوف التاريخ على إجادة التحليل المتعلق بالظاهرة التاريخية أو الحادثة المراد فهمها وهو يتجه نحو تحليل الحدث أو زمن الحدث الماضي بناء على معطيات فكرية وسببية ومنهج ثابت ، وكل ذلك يدل على حيوية الماضي (التاريخ) فهو نوع من المجاهيل التي تبدو أصعب بكثير من المستقبل الذي وضعت له الكثير من المناهج والآليات
ولفهم التاريخ ومعناه لابد من فهم الوقت أو الزمن فقد كان اليونان والرومان وقدماء المصريين يعتقدون ان الزمن يسير ببطء ساعد على ذلك ظروفهم التي يعيشونها ، وهذا الاختلاف في النظرة إلى الزمن تضمن الاختلاف في فلسفة التاريخ ، فمن اعتقد ان الزمن بطيء وبسيط كانت فكرة التطور والتقدم لديه غير واضحة فهو يؤمن بان التاريخ يعيد نفسه ([١٧]) .

---

[١٦] **ـ د. رأفت غنيمي ، فلسفة التاريخ ، ص٢٢ .**
[١٧] **ـ د. رأفت غنيمتي ، فلسفة التاريخ ، ص١٢.**

وتشكل الذكريات والأساطير - ما دمنا نتحدث عن الزمان من الزاوية التاريخية - في معظم الحضارات ما يفسد ويشوه التسلسل الزمني فهي تسلم بما لديها دون نقد او تمحيص وتخلط الأسطورة بالتاريخ والبشر بالإلهة والواقع بالخيال ([١٨]) .
ان الفكر الميثلوجي - كما يشير الالوسي – وما بعده قبل سقراط لا يقدم معالجة خاصة للزمان بل ان الزمان هنا هو الوجود ،وفي الفلسفة الحديثة يعد الزمان والمكان صورة للفهم الإنساني وحدس خالص كما عند كانت بينما يعدهما باركلي شكلان للانفعالات الذاتية وعند ماخ عبارة عن إحساسات نحن من قام بتنظيمها وعند هيجل هما نتاج المطلق ولايبنز الزمان مجرد تصورات ذهنية ([١٩]).

وزمانيا فقد وجد الفلاسفة في المستقبل زمانا يقع أمامنا يمكن التعرف إليه إلى جانب الماضي القابع من ورائنا والحاضر الذي نحياه ، اما الزمان في فكر نيتشه فان أزلية الزمان تعني أزلية الماضي والمستقبل معا وأزلية الماضي تلزم ان يكون قد حدث كل ما يمكن ان يحدث ويستلزم المستقبل اللامتناهي والأزلي ورود جميع الأحداث داخل الزمان في المستقبل ([٢٠]) . وبالنقيض من الوجوديين القائلين بان الإنسان في حركة مستمرة نحو المستقبل أو كما يقول هايدكر إننا نعلو على زماننا وذواتنا دائما متجهين نحو المستقبل لان وجودنا ما هو إلا مشروع وكلمة مشروع تدل على إننا نعمل دائما من اجل تحقيق إمكانياتنا فنحن في توتر مستمر نحو المستقبل فان في الغرب يقف مجموعة من الفلاسفة ضد إمكانية معرفة أو التنبؤ بالغيب أو المستقبل مثل كارل بوبر الذي يشير إلى استحالة التنبؤ بالمستقبل .وهو رأي بول فاليري ، ومثلما انقسم الفلاسفة على فريقين فيما يتعلق بمعرفة المستقبل انقسموا أيضا على تيارين على أساس نظرتهم للمستقبل الأول تشاؤمي والآخر يتفاءل ، وشوبنهاور وهارتمان وأكثر الوجوديين ضمن المسار الأول حيث المستقبل القاتم الذي لا ينجب إلا ماسي جديدة ([٢١]) .
وإذا كان تشبيه شبنكلر للحضارة بأنها الكائن العضوي بتطوراته المختلفة من الطفولة والشباب وصولا إلى النضج ثم التدهور والشيخوخة والموت منطقيا فإننا إزاء تقسيم تدرجي للزمن أيضا – لأنه الظل الحقيقي لوجود الأشياء - فهو يخضع إلى مرحلتين مهمتين فقط هما الولادة والموت ،من دون المرور بغيرها من المراحل لأنه يرتبط بالأحداث التي تمر على مفردتي الإنسان وغير الإنسان ولهذين بالتأكيد نهاية لا نعلمها مثلما لا نعلم بداية للزمان الذي ابتدأ مع الحركة كما يقول الفلاسفة ، ووصف الزمان بأنه ظل للأشياء فيه انعكاس لطريقة فهم الزمان الفلسفية والتي تعطي صفة للزمان مشتقة من الحركة وسوف يسهل القول ان الحركة تعرف بشكل جلي من خلال حركة الأجسام فيحصل لدينا ان الزمان ظل للأشياء .
اما المستقبل فهو اسم للزمان الآتي ويطلق على الحوادث التي يمكن ان تقع في المستقبل وتسمى بالحوادث المستقبلية وهي مقابلة للحوادث التي وقعت بالفعل وأصبحت جزء من الماضي ،ولما كان المستقبل ينطوي على جميع الممكنات كان بالضرورة غير معين اما الآتي فهو المتجه إلى الحدوث بالفعل ،ولذلك كانت حوادث المستقبل مندرجة في مقولة الجائز ،وتسمى حوادث المستقبل بالمستقبلات الممكنة ([٢٢]) .

---

[١٨] **- كولن ولسن ، فكرة الزمان عبر التاريخ ، ترجمة فؤاد كامل ، عالم المعرفة ،الكويت ،١٩٩٢،العدد ١٥٩،ص١٩.**

[١٩] **-د.حسام الدين الالوسي ،الزمان في الفكر الديني والفلسفي وفلسفة العلم،المؤسسة العربية للدراسات ، ط١،بيروت ،٢٠٠٥م،ص٦٣-٧٠.**

[٢٠] **-د.معن زيادة ، الموسوعة الفلسفية ،٣ مجلد ، معهد الإنماء العربي ،بيروت، ج١ص ٧٤٦.**

[٢١] **- معن زيادة ، الموسوعة الفلسفية العربية ، ،مجلد ١ص ٧٤٦.**

[٢٢] **- د.جميل صليبا ،المعجم الفلسفي ، جزآن ،١٩٨٢، ص٣٧٢ .**

و يختلف زمان المستقبل القريب بعض الشيء عن زمان المستقبل المباشر (المحتوم) ويبلغ التأثير في تشكيل المستقبل حدا معقولا عندما يتراوح مداه مابين خمس سنوات وعشرين ، حيث يمكن اتخاذ القرارات الكفيلة بتشكيل المستقبل المتوسط المدى لأن جذوره ترتكز علي الحاضر الذي نتعايش معه مثله في ذلك المستقبل البعيد المدى والذي قد يمتد حتى خمسين عاما من الآن،والفارق بين الاثنين أن الأخير يصعب التحكم في مساراته أو توجيه الأحداث المتوقعة...أي أننا قد نتوقع بعض الأحداث حتى خمسين عاما إلا أنه من الصعب التحكم في مساراتها ، أضف إلى ذلك صعوبة توقع بعض الأحداث في المستقبل غير المنظور الذي يمتد ما بعد خمسين عاما من الآن ([٢٣]).

واختلف الباحثون في تحديد الإطار الزمني وقد تفاوت ذلك من الشهر الواحد إلى ما يمتد إلى الخمسين عاما أو أكثر ، و يعد تصنيف (مينسوتا) لجمعية المستقبليات الدولية بولاية مينسوتا الأمريكية من أهم التصنيفات التي تأخذها معظم الدراسات المستقبلية على اختلاف مدارسها وعلى مختلف الاتجاهات الاستطلاعي منها أو الاستهدافي أو المعياري أو الذين يمزجون بين النمطين ([٢٤]).

ويمكن التركيز في التحليل المستقبلي في الآثار البعيدة وفي الاتجاهات (Trends) وليس على الأحداث (Events)، وقد نجم عن ذلك تداول تصنيف مينوسوتا (نسبة للولاية الأمريكية) في المدى الزمني للدراسات المستقبلية الذي يقوم على خمسة أبعاد ([٢٥]).

- المستقبل المباشر: ويمتد من عام إلى عامين منذ اللحظة الراهنة ،وهذا المستقبل نادرا ما تؤثر فيه القرارات التي تتخذ اليوم لأنه محكوم كلية بمسيرة الماضي وتراكماته لذلك فهو مستقبل الحتم الذي نفقد معه الاختيار .
- المستقبل القريب: ويمتد من عامين إلى خمسة أعوام ، ويمكن ان يتأثر في مسيرته جزئيا وبشكل محدود ببعض القرارات التي تتخذ اليوم .
- المستقبل المتوسط: ويمتد ما بين خمسة إلى عشرين عاما ، ويمكن تشكيل هذا المستقبل إلى حد كبير بما يتخذ اليوم من قرارات لان بذوره كامنة في الحاضر المعاش .
- المستقبل البعيد: ومدته بين عشرين إلى خمسين عاما ، ويتشابه مع المستقبل المتوسط في كمون جذوره في الحاضر إلا انه يصعب التحكم في مساراته .
- المستقبل غير المنظور: ويمتد من هذه اللحظة إلى أكثر من خمسين عاما ،ويستحيل التحكم فيه .

ومن هذه الخطوة بالذات ، واقصد التقسيم الزمني المفترض للأحداث المقبلة يمكننا تقسيم التاريخ على وفق هذه الآلية والقيام بدراسة الفترات الزمنية وفق هذا السياق مع اعتماد الآليات المتعلقة بالسببية وغيرها من القواعد السننية الثابتة .

التداخل مع العلوم

---

[٢٣] **- فوزي عبد القادر الفيشاوي،" المستقبلية..رؤية علمية للزمن الأتي"،دراسات مستقبلية،(تصدر عن مركز دراسات المستقبل بجامعة أسيوط)،س١،العدد ١، ١٩٩٦ م .**

[٢٤] **- د.فاروق فلية و د.احمد الزكي ،الدراسات المستقبلية من منظور تربوي ، ص٣٩ .**

[٢٥] **- Timothy Mack:The Subtle Art of Scenario Building,Futures Research Quarterly ,Vol.17.No.2 ,2001.pp12-19**

ان دراسة المستقبليات اقتربت كثيرا من العلم والتقنية فيما ظلت فلسفة التاريخ بطيئة في تقاربها مع التكنولوجيا الحديثة ، وتوجد جملة من الأسباب المعللة لهذا التفاوت منها ان أصحاب التقدم العلمي المهتم بالدراسات المستقبلية (الغرب) يطمحون إلى القادم من الاكتشافات والانجازات والماضي لا يشكل أهمية ما بقدر كونه المقياس لتلافي الأخطاء المستقبلية والسبب الآخر ان في الماضي لا يشكل عامل فخر للقوة التي تملك التكنولوجيا (أمريكا) فحضارتها ولدت حديثا وبشكل عام فان الإنسان الغربي يبحث عن السرعة والاستمرار ، مع هذا وفيما يخص استشراف الماضي فان لديهم جملة من الأبحاث السرية التي لم يكشف عنها تتعلق بفك شفرات الملوك السابقين أو قراءات للمخطوطات واللغات المتعددة ومعرفة أسباب الهجرات واندثار الحضارات بالاعتماد على العلم المتطور .

لقد كان رأي فيكو في التاريخ انه مجرد قيمة أخلاقية ليس إلا ، واستبعد المعرفة التاريخية من كتابيه التنين والجسم ، وخلص إلى رأي يشبه رأي ديكارت وهو ان التاريخ مجرد حكايات تساعدنا كما هو حال الأسفار والرحلات على تكوين أحكامنا والارتقاء بعقولنا وتعريفنا بالأمم الأخرى ، وديكارت يفرق عموما بين معرفة عقلية قائمة على الرياضيات وأخرى قائمة على الخبرة البشرية كما في اللغات والجغرافيا وغيرها ([٢٦]) .

وفي الكلام إقرار بتهميش الفائدة المرجوة من فلسفة التاريخ ، فهي بنظر فيكو لا تعدو عن كونها تسلية فكرية ، إلا ان فلسفة التاريخ اليوم تشير إلى معنى آخر حينما تساعد في اداء عمل الدراسات المستقبلية (ربما بعد التقدم العلمي والتكنولوجي) وعلى أي حال تعد فلسفة التاريخ علما لأنه يتعامل مع غاية ولديه منهج ووسائل واليات ويهدف إلى تحقيق نتائج تساعد العلوم الاخرى ، وبالمقابل فان فلسفة المستقبل تعد علما لذات السبب فلديها الوسائل المتعددة والغايات والمناهج والاليات ، اما من حيث الفعل ينصب اهتمام فلسفة التاريخ على فهم الماضي للتحضير للحاضر والمستقبل ، في حين ان نقطة فهم ومعالجة الفعل المستقبلي هي الحاضر .

ان التاريخ البشري لا يتحرك فوضى وعلى غير هدف، وإنما تحكمه سنن ونواميس، كتلك التي تحكم الكون والعالم والحياة والأشياء سواء بسواء، وان الوقائع التاريخية لا تخلق صدفة وإنما من خلال شروط خاصة تمنحها هذه الصفة أو تلك، أو توجهها صوب هذا المصير أو ذاك ([٢٧]) .

وهذا ما يجعل فلسفة التاريخ تستند إلى أسس علمية ، وللدراسات التاريخية ارتباط مهم بالدراسات المستقبلية ،فقد عدها الباحث أحمد صدقي الدجاني عند تعريفها بأنها (امتداد للدراسة التاريخية...وهي تتناول بالحديث المستقبل من خلال النظر في الحاضر والماضي ... وهي محاولة علمية تتكامل فيها الدراسات لمعرفة جوانب صورة الحاضر وتحليلها والتعرف إلى مجرى الحركة التاريخية من خلال دراسة الماضي و ملاحظة سنن الكون، والانطلاق من ذلك كله إلى استشراف المستقبل وصولاً إلى طرح رؤية له، وتتضمن هذه الرؤية توقعات يحتمل حدوثها استمرارا للحركة التي تحكم الواقع القائم، وبدائل وخيارات وأحلاماً يجرى التطلع لتحقيقها بممارسة الفعل) ([٢٨]) .

وفي كتابه التصدع العظيم وعند طرح أنظمة أربعة لعلاج تصدع وانهيار المجتمع الأمريكي منها(الطبيعي والذاتي والديني والسياسي) قارن فرانسس فوكوياما وهو يبحث حول مستقبل الأخلاق والاجتماع في أمريكا بين التصدع في الماضي والحاضر مع استخدام الإحصاءات

---

[٢٦] - د.عطيات أبو السعود ، فلسفة التاريخ عند فيكو ،منشاة المعارف بالإسكندرية ، ١٩٩٧،ص٢٩.

[٢٧] - عماد الدين خليل ، حول إعادة تشكيل العقل المسلم، ط٢، قطر، ص٥١.

[٢٨] - د. أحمد صدقي الدجاني، "الدراسة التاريخية و المستقبلية في التراث العربي الإسلامي"، محاضرة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٠.

([29])و كان الأولى دمج هذه المفردات الأربع مع بعضها ليخرج بنظام شامل لحل الأزمة التي شكل الجزء المفيد من حلها عدم إهمال المعطيات التاريخية والاستقراءات العلمية والفكر السياسي والاجتماعي التي تدخل ضمن فلسفة التاريخ .
وفلسفة التاريخ إذن تتعامل مع الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي ومع المنطق الاستقرائي وبالمقابل وبالإضافة إلى سؤال(هل يمكن استخدام مصطلح فلسفة المستقبل) ، يأتي سؤال يقول هل يمكن وصف الدراسات المستقبلية بمفهوم العلم ؟
يصف فؤاد زكريا في كتابه التفكير العلمي العلم بجملة من المواصفات منها التراكمية والتنظيم والبحث عن الأسباب والشمولية واليقين والدقة والتجويد ،اما العقبات التي تعترض مفهوم العلم والعلمية فهي ،الأسطورة والخرافة والخضوع للسلطة والشهرة والرغبة والتمني وإنكار قدرة العقل والتعصب ([30]).
ولعلنا سنكتشف ان مواصفات البحث العلمي تنطبق على كلا الفلسفتين (التاريخ والمستقبل) فالتراكمية والبحث والمنهج وسوى ذلك إنما هي تطبيقات طبقت في التاريخ والمستقبل ونحن ننظر على أساسها إلى معلومة ماضية أو إلى معرفة الغد بطريقة منهجية اما التنظيم فان ارتباط مفاهيم الإدارة والتخطيط والتنبؤ المبني على القياس والاستقراء ووضع الفروض العلمية وبناء السيناريوهات المتسلسلة ما هي إلا إحالة إلى علم منظم افتراضي .
و الدراسات المستقبلية تحمل صفة العلم لاعتمادها على المناهج العلمية المهمة كما في المنهج التحليلي والاحتمالي والحدسي والافتراضي و استخدامها للأدوات العلمية مثل الاستنتاج والتحليل والمقارنة والقياس والمنطق يضاف لذلك الالتزام بالموضوعية ولوجود الغاية التي تسعى إليها تلك الدراسات بالإضافة إلى استخدام وسائل المعرفة كافة مثل الحواس والعقل والحدس .
وفي الحقيقة ، لا يمكننا فهم الدراسات المستقبلية بمعزل عن كونها علما أولا ثم لا يمكننا افتراض ابتعاد الدراسات المستقبلية عن العلوم المختلفة ثانيا .
ان فهم المستقبليات لا يتم من دون الجهود المهمة لمختلف العلوم ، ومع هذا فان العلوم بمجملها اتكأت على أساس ميتافيزيقي في كثير من المسائل فهي تعتمد التخمين والحدس أو الافتراض بصورة عامة ، إذن فهي علاقة تشاركية وتداخلية مع بعضها البعض .
لهذا نلاحظ أهمية الرياضيات بالنسبة إلى
تركيب النتائج وتحليلها والإحصاء وكذلك المنطق فما يتعلق بالاستقراء والاستنتاج ، وهكذا يمكن القول بالنسبة إلى علاقة علوم السياسة والاقتصاد والاجتماع وعلوم الإدارة وغير ذلك ، يضاف لذلك المناهج المختلفة التي منها الحدسي والافتراضي والتحليلي ...الخ ، والارتباط والتداخل بين العلوم والفكر أو العلم المستقبلي صنعته الضرورة والحاجة سيما المرتبط بالمناهج التي تبين انها تفترض أو تنحو نحوا أو تتنبأ أو تشترط أو تتوقع وغيرها من الألفاظ ذات الدلالات الموحية إلى مسالة أو حدث مقبل .
ويرى د. ماجد فخري أنها (الدراسات المستقبلية) علم ، استناداً إلى أنها تحوي موضوعا محددا معتبرا انها كائنا (لم يوجد بعد) ولكنه قابل للوجود في الزمان المستقبل ، بالإضافة إلى منهج (التجربة والاختبار: من خلال خبرة الأجيال الماضية، الاستدلال والاستقراء، والتعميم) مما يؤدي إلى الخروج بأحكام عامة متماسكة منطقياً ([31]).

---

[29] - فرانسس فوكوياما ،التصدع العظيم ،ترجمة عزة حسين كبة ،دار الحكمة ،بغداد ،٢٠٠٤ ص٢٦٧.

[30] - انظر د. فؤاد زكريا ،التفكير العلمي ،سلسة عالم المعرفة ،الكويت ،١٩٧٨ .

[31] - د.ماجد فخري ، تطور فكرة المستقبل في العصور القديمة و الحديثة ، الفكر العربي، مجلة الإنماء العربي للعلوم الإنسانية، بيروت العدد العاشر، السنة الأولى، إبريل ١٩٧٩، ص ١٠- ٢٥ .

وهناك وجهة نظر مغايرة للباحث هاني محمد خلاف فهو يقرر أنها لا تمثل علماً مستقلاً، لأن موضوع المعرفة فيها غير محدد فهي (قد تتناول ظواهر اجتماعية وقد تتناول ظواهر طبيعية)، كما أن فكرة الظاهرة التي تدرسها (المستقبل) غير موجودة بالأصل، ويرى أن هذا لا ينتقص من قيمة الدراسات المستقبلية في بنيان المعرفة اذ أن المستقبلية يمكن أن تكون فلسفة ويمكن أن تكون منهجاً ([٣٢]). وهذه مسالة غير مجدية فإذا لم نصف التاريخ أو المستقبل بالعلم فما هو العلم إذن ؟. ولعل الباحثين يتغافلون عن مسالة ان أكثر التخمينات الفكرية والعلمية جاءت بنتائج مهمة بالنسبة إلى العلم والفكر كما في حدس اليونان وتخميناتهم أو الفلسفة الحديثة عند ديكارت وسواه ، فهي لم تكن تحمل تحديدا مطلقا وقصدا مباشرا ، بل لم تكن تحمل صدقا وقوة مطلقة ولعلها قابلة للنقاش أو التغير فيما بعد ، ومع هذا فقد نجحت وبنيت عليها كثير من الأسس مع انها كانت تخمينية .

إن عدم الفصل بين الظاهرة الاجتماعية من ناحية، والتطور التكنولوجي من ناحية ثانية، يشير إلى ربط بين بعدين هما الدراسات المستقبلية الخاصة بالتطورات التكنولوجية، و الخاصة بأثر التطورات التكنولوجية المشار إليها على الظواهر الاجتماعية مع إبلاء الأبعاد السياسية أهمية واضحة، وأدت هذه المسألة إلى تحول كبير في مناهج البحث في الدراسات المستقبلية ، فأصبح الربط بين التقني والاجتماعي والتفاعل بينهما من بين أسس الدراسات المستقبلية، التي تركز في كيفية إيجاد طرائق بحثية تربط بين التطور التقني والتطور الاجتماعي المستقبلي ، الذي تجلى بشكل كبير في بعض التقنيات المعروفة مثل تقنية دلفي أو مصفوفة التأثير المتبادل ([٣٣]).

وفيما يتعلق بالعلوم العسكرية أو السياسية فقد تنبهت المؤسسة العسكرية الأمريكية على جدوى الدراسات المستقبلية، وركزت في توظيفه لصالح الأمن القومي، وكانت القوات الجوية الأمريكية هي الأكثر اهتماما بهذا الموضوع، ولعبت مؤسسة راند (Rand) من خلال جهود عالم الرياضيات الأمريكي أولاف هلمر (Olaf Helmer) دورا بارزا لا سيما في التوسع في استخدام تقنية دلفي ([٣٤])

وربما يمكننا فهم تداخل العلوم مع بعضها عند استعراض الأساليب التي تدخل ضمن الدراسة المستقبلية ،وهي تتعاطى مع الاقتصاد والإدارة والرياضيات والالكترونيات والمنطق ...الخ ومن ذلك :أسلوب النماذج السببية Causal Models؛ وهنا يتم التنبؤ بقيم متغير ما أو مجموعة متغيرات باستعمال أنموذج يحدد سلوك المتغيرات المختلفة استنادًا إلى نظرية معينة. ومن أشهر هذه النماذج نماذج الاقتصاد القياسي Econometric Models، ونماذج المدخلات والمخرجات Input-Output Models، ونماذج البرمجة Programming Models أو الأمثلية Optimization، ونماذج المحاكاة Simulation Models، ونماذج ديناميات الأنساق Dynamics Systems (التي تعد دراسة «حدود النمو» لنادي روما من أشهر تطبيقاتها) ([٣٥]).

---

[٣٢] - **هاني محمد خلاف ، المستقبلية بين المنهج العلمي و الفكر الشرقي ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ٥٠، أكتوبر ١٩٧٧، ص ٦-٢١ .**

[٣٣] - **حول تقنيات الدراسات المستقبلية، انظر بالتفصيل: د. وليد عبد الحي ، الدراسات المستقبلية في العلاقات الدولية، عيون، مراكش، الطبعة الثانية، ١٩٩٢. ص٢٣-١٤٥.**

[٣٤] - **M.Mannermaa:New Tools and Knowledge for Sustainble Futures , Futures ,vol.28, no -6/7,1996 . pp.34-36,**

[٣٥] - **محمد فالح الجهني ، الدراسات المستقبلية شغف العلم.. و .. إشكالات المنهج ،مجلة المعرفة ،العد١٧٥، السنة ٢٠١٠ الرابط http://www.almarefh.org/news.php?actio**

ومن زاوية أخرى- قد تبدو مختلفة نوعا ما - فان الدراسات المستقبلية قامت بتوظيف الفن والأدب أيضا وذلك باستخدام أسلوب السيناريو وهو منهج فني استثمرته الدراسات المستقبلية بالاعتماد على السيناريو الفني .

وقد امتد استخدام الدراسات المستقبلية إلى مجالات متعددة ترتبط بعلم من العلوم أو تمثل أسس ذلك العلم ، ومن أهمها المجالات الآتية ([٣٦]):

١. النمو السكاني العالمي والغذاء والاقتصاد العالمي ومصادر الطاقة.
٢. التلوث البيئي ، وهو متعلق بعلوم مختلفة منها الطب والجغرافيا والبيئة وعلوم الجو والاقتصاد ...الخ .
٣. السلام والصراع العالمي والحروب ، نظام الأمم المتحدة وتسييس العولمة ، وهو ما تعلق بالسياسة الاقتصاد ويعتني بـــ الفجوة والعلاقات بين الدول الفقيرة والغنية ، التكتلات الاقتصادية العالمية والإقليمية ، اتجاهات العولمة الاقتصادية.
٤. علم الاجتماع ويبحث التفكك وتشرذم القوى المجتمعية.
٥. التكنولوجيا الجديدة والبناء المجتمعي.
٦. اتجاهات قوة العمل مثل أنماط الإدارة الحديثة، والتوظيف والبطالة.
٧. تغيير النماذج الثقافية.
٨. اتجاهات التعليم والتعلّم .

التداخل المنهجي

يتقارب المستقبل مع التاريخ بأكثر من صورة ،فهما صديقان ، يمثل احدهما ظل الآخر . والتاريخ حدث تحقق اما المستقبل فهو حدث مفترض ولكن الأحداث تتشابه ولهذا فان العلاقة بينهما إنما هي علاقة القياس والافتراض والاستنتاج والمقارنة ، فمن زاوية منهجية المقولات أو الأسس العامة التي تختص بفلسفة التاريخ هو ما اتسمت به من خاصتي ([٣٧]):

١- الكلية : وتعني بشكل أو بآخر تكامل المشهد وربط الأجزاء والوقائع ببعضها البعض .

٢-العلية : ومن خلالها يلجا الفيلسوف إلى اختصار العلل (الأسباب) الجزئية للأحداث التاريخية إلى علة واحدة وسبب واحد أو علتين فنلاحظ ان كارل ماركس ارجع الأحداث التاريخية إلى سب واحد هو الاقتصادي وعلى هذا يمكن القول ان كانت عملية التاريخ مرتبطة بخطين هما كيف حدث (أي الوصف) وماذا حدث (التعليل) والأخيرة أكثر صعوبة من الأولى .

وربما لا تبتعد الدراسات المستقبلية عن مسالة البحث في الجوانب العامة للشيء المراد معرفته او معرفة علته .ويلاحظ ان الدراسات التاريخية تأثرت بالنزعة الطبيعية عند انعكاس منهج العلم الطبيعي على التاريخ فأصبحت خطوات منهج البحث التاريخي على النحو الآتي ([٣٨]):

١- منهج تجريبي استقرائي غير مباشر (لا يخضع للتجريب) .
٢-حشد الأحداث
٣- حصر الواقعة المراد دراستها زمانيا ومكانيا
٤- الوصول إلى أحكام كلية يمكن الاستفادة منها في الحاضر والمستقبل .

اما أهم مبادئ أو معايير الدراسات المستقبلية فقد برزت بشكل صنفين الأول ، يركز في المبادئ الآتية ([٣٩]) .

---

[٣٦] **- محمد فالح الجهني ، المصدر السابق .**

[٣٧] **- د. رأفت غنيمي ، فلسفة التاريخ ، ص١٥ -١٦.**

[٣٨] **- د. رأفت غنيمي ، فلسفة التاريخ، ص١٣.**

أولا: مبدأ الاستمرارية Continuity: وهو توقع المستقبل امتدادًا للحاضر وخاصة الحقائق العلمية مثل توقع أن تكون الأنهار أو المحيطات في مكانها المعتاد نفسه للأعوام القادمة، أي استمرارية الحوادث من (الماضي للحاضر للمستقبل) .

ثانيا : مبدأ التماثل Analogy: وهو توقع أن تتكرر بعض أنماط الحوادث كما هي من وقت لآخر .

ثالثا : مبدأ التراكم Accumulation: وهو تراكم نفس الأحكام على نفس الوقائع، مع اختلاف الأشخاص لمدد تتفاوت تاريخيًا .

ولكن ألا يمكن القول في مجال فلسفة التاريخ بمبدأ الاستمرارية أو الامتداد على الأقل، عند الحديث عن امتداد التاريخ ليتصل بالحاضر ، بل وامتداد التاريخ ليتصل بالمستقبل ، وبشكل أو بآخر فان هذا الاتصال يحدث ليس على مستوى النظام السببي أو السنني المستند على سنن الكون فحسب بل على أساس ان التقسيمات التي تقر بها الدراسات المستقبلية وهي بمستويات مختلفة (القصيرة والمتوسطة والطويلة) كما أشير سابقا تمكن من اعتماد الأحداث التاريخية كأساس أو كقاعدة بيانات تتصل بالمستقبل طالما ان التنظير الذي تعتمده فلسفة التاريخ يستمر بشكل رؤية لا تبقى أسيرة الماضي .

وهكذا هو الحال مع مبدأ التماثل أو التراكم الذي يفسر بوضوح اعتماده في فلسفة التاريخ بأسلوب أو بآخر .

اما الصنف الآتي فيمثل مجموعة من المبادئ أساسها العام الطموح الكبير المشفوع بفهم ان معرفة المستقبل لا تحمل المطلقية بل النسبية وتأكيد التطور التكنولوجي وقدرة الإنسان على الاكتشاف والتغير والتطور وتشير تلك المبادئ إلى:

١. إمكانية التنبؤ بمستقبل الإنسانية وتحديده بدرجة من الدقة وان اختلفت من مجتمع إلى آخر ،وان الحاضر بكل ما فيه من قدرة بشرية ومادية وعلاقات واتجاهات هو المدخل الرئيس لكل مستقبل ، وما المستقبل إلا الحاضر مضافا له عامل الزمن ([٤٠]) .
٢. يتوقف التخطيط للمستقبل على معرفة المجتمع من جهة مساره التاريخي وعناصر الثبات والحركة فيه ([٤١]) .
٣. المستقبل عدد من الاحتمالات التي تبدأ من نقطة الحاضر ثم تتفاوت فيما بينها عبر الزمن بقدر التفاوت في تنظيم مدخلاته وتفاعل هذه المدخلات داخل كل نقطة أو احتمال ، والإنسان يملك وسائل وأساليب علمية في النظر إلى المستقبل والتحرك إليه منها التخطيط وتقنياته ([٤٢]) .
٤. إن الاهتمام بالمستقبل يمثل التزاما إنسانيا تجاه الأجيال القادمة ورفاهيتها وتخطيط مستقبلها ([٤٣])

---

[٣٩]- محمد صالح نبيه ،المستقبليات والتعليم ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م، ص ١٠.أيضا انظر د.رحيم الساعدي، المستقبل، مقدمة في علم الدراسات المستقبلية ، ط١،دار الفراهيدي للنشر والتوزيع،بغداد ،٢٠١٠م ،ص١٥٤.

[٤٠] - فاروق فلية واحمد الزكي، الدراسات المستقبلية ، ص ٣٥.

[٤١] - عبد الرحيم الحصيني ، مستقبلنا – المعالم النظرية لاستشراف المستقبل الإسلامي ، دار الغدير ،ط١، قم ،٢٠٠٠ ، ص٥١ .

[٤٢] - فاروق فلية واحمد الزكي، الدراسات المستقبلية ، ص ٣٥.

[٤٣] - ادوارد كورنيش ، الاستشراف ، ص٣١٢.

٥. الزمن متواصل ومستمر وأحادي الاتجاه ولا يمكن تغيير مساره ، كما ان ليس كل ما يوجد في المستقبل –الذي يعد أفضل أنواع المعرفة - قد وجد في الماضي أو يوجد في الحاضر ، فالمستقبل قد يحوي أشياء – مادية أو اجتماعية أو بايلوجية – لم توجد من قبل ([٤٤]) .

٦. المستقبل لا يمكن ملاحظته لذا فليس هناك حقائق مطلقة حوله ، وكل ما يمكن التوصل إليه هو مجموعة افتراضات لم يتم التأكد منها ،والمستقبل أيضا ليس مقدرا – سلفا - بشكل مطلق ، فهو يمثل لبعض الناس الحرية والقدرة والأمل والوقت الذي يمكن ان تتحقق فيه الأحلام ([٤٥]) .

ومن الأساليب المنهجية في الدراسات المستقبلية والتي تتماثل مع التاريخ هو أسلوب استقراء الاتجاهات ، ويعتمد هذا الأسلوب على أن الاتجاهات التي ثبتت في التاريخ القريب سوف تستمر في المستقبل، ويفترض هذا الأسلوب أن القوى التي كانت توثر في تشكيل الاتجاه في الماضي سوف يستمر تأثيرها في المستقبل، وتظهر نقطة الضعف في هذا الأسلوب في انه يفترض أن القوى التي كانت تؤثر في الماضي سوف يستمر تأثيرها في المستقبل بالدرجة نفسها ، وللتغلب على نقطة الضعف السابقة أمكن عن طريق الطرق الإحصائية ابتكار أساليب فنية جديدة لاستقراء الاتجاهات بكفاية عالية ([٤٦]) .

وأسلوب الإسقاطات التي غالبا ما تعتمد طرق الإسقاط على استقراء الاتجاهات الماضية ([٤٧]) ، وتعد هذه من الطرق القديمة اما الحديثة منها والتي تستند على التاريخ فهي .أساليب تتبع الظواهر وتحليل المضمون والتي يقصد بها استخدام طائفة متنوعة من مصادر المعلومات في التعرف إلى الاتجاهات العامة لمتغيرات معينة، مع افتراض أن الاتجاهات العامة التي يتم الكشف عنها هي التي ستسود في المستقبل ، أو هو تفحص توجه ما للتعرف إلى طبيعته وأسبابه وسرعة تطوره وتأثيراته المحتملة وقد يكون هناك حاجة للتحليل المتعمق ([٤٨]) . وتقوم أساليب التناظر أو المشابهة Method Of Analogy على استخراج بعض جوانب الصور المستقبلية استنادًا إلى أحداث أو سوابق تاريخية معينة والقياس على ما فعلته دول معينة في مرحلة أو أخرى من مراحل تطورها لإنجاز معدل ما للنمو الاقتصادي مثلًا. أما أساليب الإسقاط بالقرينة، فهي تقوم على افتراض أن ثمة ارتباطا زمنيا بين حدثين، حيث يقع أحدهما قبل الآخر عادة، بحيث يمكن التنبؤ بالحدث اللاحق استنادًا إلى الحدث السابق. فمثلاً يمكن أن يؤخذ التقدم في الطائرات الحربية من حيث السرعة قرينة على التقدم في سرعة الطائرات المدنية ([٤٩]). ومن أشهر هذه الطرق طريقة السلاسل الزمنية القائدة Leading Series التي كثيرًا ما استخدمت في التنبؤ بالدورات الاقتصادية، حيث يؤخذ بطء النمو في متغيرات اقتصادية معينة (كالمخزون أو التعاقدات الجديدة) قرينة على إبطاء حركة النشاط الاقتصادي في مجموعه ([٥٠]).

---

[٤٤] - فاروق فلية واحمد الزكي، الدراسات المستقبلية ، ص ٣٦.

[٤٥] - فاروق فلية واحمد الزكي، الدراسات المستقبلية ، ص٣٧ .

[٤٦] - محمد فالح الجهني ، المصدر السابق .

[٤٧] - عبد الغني النوري، اتجاهات جديدة في التخطيط التربوي للبلاد العربية. الدوحة: دار الثقافة،بلا تاريخ، ص ٨٧ .

[٤٨] -كورنيش ، الاستشراف ،ص١٢٩ .

[٤٩] - محمد فالح الجهني ، المصدر السابق .

[٥٠] - فاروق عبده فلية ، احمد عبد الفتاح الزكي ، الدراسات المستقبلية(منظور تربوي)، ص٥٧.

ويسجل بين فلسفة التاريخ وفلسفة المستقبل محاور منهجية أو شبه منهجية أصبحت محلا للتوافق وأخرى يتساجل الطرفان في التميز بخصائصها منها :

- ان وسائل فلسفة التاريخ ،تعد قواعد فكرية قديمة وعلى العلم ان يهتم بفلسفة التاريخ وهي دعوة موجهه لإشراك التطور التكنولوجي في حل الألغاز القديمة .

بينما آليات فلسفة المستقبل : تسير على محورين منها الجديد والقديم ، وذلك يعني مواكبة التطور العلمي لفلسفة المستقبل .

- تعد فلسفة التاريخ فلسفة تنظيرية وتتحول الى التطبيق عندما تستثمرها مناهج فلسفة التاريخ ، اما الأساس العام للمستقبل فينطوي على جانبي التنظير والتطبيق .
- ان من قام بتأسيس البداية لفلسفة التاريخ هو الفيلسوف المؤرخ ثم تطور الأمر على يد الفلاسفة ، والدراسة المستقبلية أسسها الأدباء والمفكرون على حد سواء ،فكل ما تولد من مخيال الأدباء والمفكرين نفذه الفلاسفة أو مفكرو الدراسات المستقبلية وبالتالي تطور الأمر إلى تنظير الخبراء المستقبليين .
- تدمج فلسفة التاريخ الميتافيزيقا (الغيب) مع الواقع الحاضر ، ويدمج الفكر المستقبلي الميتافيزيقا (الغيب) مع الواقع الحاضر أيضا ، بالإضافة إلى انها تشابه الفلسفة لاستغراقها في التنظير في حين ان الدراسة المستقبلية تشابه العلم لاعتمادها التطبيق .
- مسالة تبدو جد منطقية وتحمل شيئا من الأهمية تقول ان غاية فلسفة التاريخ هو المستقبل من خلال تلافي الأخطاء الماضية والنظر إلى تصحيح أو تحليل المسارات واخذ العبرة من الأمم الغابرة ولذا تبدو غاية فلسفة التاريخ أهم من غاية فلسفة المستقبل لان الأخير غايتها الحاضر من خلال استثمار المستقبل وتنظير الآليات الخاصة بالمابعد خدمة للواقع .
- من مشتركات فلسفة التاريخ والمستقبل هو اعتماد التحليل والاحتمالات والأساليب الشرطية والاهتمام بالجانب الجغرافي وبعلم الاجتماع .
- اما الاختلافات فربما برزت في ميدان التخمين والتنبؤ بالنسبة إلى المستقبل الذي يقف التاريخ بموازاته بكونه اقرب إلى اليقين ويبدو ان الزمان هو من يقود فلسفة المستقبل أي انها محكومة به ، لكن ذلك قد يختلف في فلسفة التاريخ فهو يبدو وكانه القائد الفعلي للأشياء والأحداث .

المستخلص

يساهم التاريخ او فلسفة التاريخ بتوضيح المناهج التي يمكن الاستفادة منها في بناء المستقبل بكل تنوعاته الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية الأمر الذي يشير إلى علوم جديدة بالإضافة إلى مناهج جديدة أيضا وهذا كله يعني تحريك الساحة الفكرية العراقية والعربية والإسلامية .
ومن هنا – من محاولة تطبيق وتبني وممارسة صنعة الدرس المستقبلي - يمكن استغلال الفرص المناسبة بوساطة منهجيات متطورة ومعاصرة في الدراسات المستقبلية للتطور والتجديد والتنظير للإصلاح الفكري وتقديم البدائل المختلفة التي تساعد في البناء المادي والمعنوي للإنسان والأمم .
وفي الحقيقة ، لا يمكننا فهم الدراسات المستقبلية بمعزل عن كونها علما أولا ثم لا يمكننا افتراض ابتعاد الدراسات المستقبلية عن العلوم المختلفة ثانيا أو عن الفلسفات المتعددة ومنها الاجتماع والسياسة والتاريخ .
لهذا عملنا على مقارنة بين الفكرين المستقبلي والتاريخي لكي نخرج بمحصلة قد تكون نافعة لهذا الصنف من الدراسات ، اعني الدراسات المستقبلية .

Abstract

Contributes to history or philosophy of history to explain methods that can be used in building the future, including intellectual and political, social and economic, which refers to the new addition to the science curriculum also new and all this means moving the Iraqi intellectual arena and the Arab and Islamic.

It is here - try to apply and practice the craft lesson future - can take advantage of appropriate opportunities sophisticated and contemporary methodologies in future studies of renewal and reform intellectual theorizing and offer different alternatives that will help in the building material and moral support to the people and nations.

In fact, we can not understand the future studies apart from being a note first and then we can not assume away future studies for various sciences second or multiple philosophies, including sociology, politics, history.
So we worked on a comparison between future and historical study in order to bring the outcome may be useful for this type of studies, I mean future studies.